ستيف بانون: بطل مكافحة العولمة الذي أثرى من ورائها!

وكالة القدس للأنباء – ترجمة

أصدر البيت الأبيض، مساء أمس الأربعاء، قراراً بإعفاء ستيف ك. بانون من مهامه في مجلس الأمن القومي، في ما اعتبر إجراء روتينياً ضمن إعادة هيكلة الإدارة الأمريكية. غير أن بانون ليس موظفاً عادياً، وأغلب الظن أن أعفاءه من منصبه لن يوقف تأثيره في سياسات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية لا تتوقف عن وصف ستيف بانون بأنه الرأس المفكر لدونالد ترامب، وهو الذي يخطط الاستراتيجيات التي تنفذها الإدارة الأمريكية الحالية، وهو – أي بانون - لا يخفي ذلك بطبيعة الحال.

وكانت صحيفة واشنطن بوست نشرت تقريراً مطولاً حول بانون، مطلع الشهر الحالي مبنياً على سلسلة من المقابلات التي أجرتها معه ومع بعض معارفه وشركائه. ونظراً للدور الذي يلعبه بانون في السياسة الأمريكية – داخلياً وخارجياً – ونظراً لعلاقاته التاريخية والوثيقة مع بعض الشخصيات العربية، تعيد وكالة القدس للأنباء نشر التقرير مترجماً.

المصدر: صحيفة واشنطن بوست، 1 نيسان 2017. العنوان الأصلي: (Stephen Bannon, antiglobalist champion, got rich as global capitalist)، بقلم: مايكل كرانيش، ورياني ميرل. وساهم جان لويس ماجدة في إعداد هذا التقرير.

كان ستيفن ك. بانون يدير شركة مصرفية استثمارية في بيفرلي هيلز، عندما تلقى اتصالاً هاتفياً من شريكه يحمل أخباراً عاجلة: ثمّة صفقة محتملة بقيمة 10 مليار دولار على وشك أن تتم في مدينة نيويورك، مرتبطة بشركة كانا يأملان في الاستمرار بتمثيلها – ولم يريدا أن يكونا خارج اللعبة.

طلب بانون، الذي كان في منتصف الأربعينيات وقتها، من شريكه مقابلته في مطار لوس أنجلوس في غضون ساعة. مباشرة، ظهرا في مكاتب شركة بوليغرام في مانهاتن، وهي شركة موسيقى عالمية، كانا قد مثلاها في السابق في صفقة تتعلق بأحد الأفلام، وكانت معروضة للبيع في ذلك الوقت.

وقبل فوات الأوان، حدد بانون الزاوية التي سيدخل منها. فهو كان قد مثّل الأمير السعودي الوليد بن طلال في صفقة سابقة؛ وفي هذه الصفقة، قدّم عضو العائلة الملكية وأحد أغنى العرب في العالم كصاحب عرض. أعجبت بوليغرام بالعرض، ودفعت لبانون بقشيشاً كبيراً لإنجاز الصفقة الشاملة.

يقول بانون، الذي يبلغ اليوم 63 عاماً، في مقابلة معه، مستذكراً اجتماع عام 1998: "من لا يكون حاضراً يكون خارج الصفقة.. وحالما تشق طريقك إلى الصفقة، فإنك ستبقى".

قبل أن يصبح بانون مهندس الثورة ضد العولمة بسنوات – وقبل أن يمارس عمله اليوم ككبير الاستراتيجيين في ظل الرئيس ترامب لإضعاف صفقات التجارة الحرة، وتقييد الهجرة من عدد من الدول ذات الأغلبية المسلمة وسحق الشركات التي تنقل الوظائف إلى الخارج – فإنه جمع ثروته باعتباره رأسمالي معولم نموذجي.

وجدت دراسة حول مهنة بانون كمصرفي استثماري أنه عاش، بين الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، ما يبدو أنه واقع بديل من الشعبوي الناري الذي يبدو عليه اليوم، والذي أعلن مؤخراً أن "المعولمين انتزعوا أحشاء الطبقة العاملة الأمريكية، وخلقوا الطبقة الوسطى في آسيا".

من خلال مقطوعيات العمل في شركة جولدمان ساكس وشركته الخاصة، كان بانون مخلوقاً مولعاً ببناء الشركات، وتكوين الثروات وبالتمويل الدولي. تلقت شركته دعماً مالياً هاماً من بنوك في اليابان وفرنسا، وكان الأمير السعودي أحد عملائه الرئيسيين. تمت إدارة كل ذلك من مكتب سيء التجهيز يبعد خطوات من منطقة تسوق النخبة في روديو درايف.

واعترف بانون، خلال مقابلتين معه بهدف إعداد هذا التقرير، أنه اعتمد اعتماداً كبيراً على التمويل الأجنبي خلال ثماني سنوات من إدارته لشركة، عرفت باسم بانون وشركاه.

ولكنه قال إن العالم الذي كان يعمل فيه ذات مرة، والذي جنى فيه الملايين، قد تغيّر بسبب البنوك التي يبدو الآن أنها تعمل لنفسها بدلاً من مصالح عملائها – وبسبب الشركات متعددة الجنسيات التي تقوّض الطبقة العاملة.

وأضاف: "كنا نموّل رجال الأعمال - الذين أؤمن بهم بشكل كبير - بشكل دائم، ولكني لا أؤمن بعقلية الشركات".

وبحسب قوله، فإن هذا هو الشعور الذي أوصله إلى ما هو عليه اليوم، والذي ساعد في تحويل موقع بريتبارت نيوز المتطرف إلى منصة للقومية، ومن ثم إلى التحالف مع ترامب لقلب أيديولوجية الجمهوريين رأساً على عقب.

اليوم، يعمل بانون كمنسق ذي وزن في البيت الأبيض لمجموعة من مستشاري ترامب من زملائه الذين عاشوا في عالمه السابق، مسؤولين كبار من غولدمان ساكس، فضلاً عن آخرين من قدامى المحاربين في وول ستريت الذين يتبنون الشعار الأكثر أصالة في سياسات الحزب الجمهوري، مثل التجارة الحرة.

غير أن تجربة بانون في عالمهم، ومن جوانب عدة، هي التي هيأته للنضال.

يقول بانون: "لقد عشت في جميع أنحاء العالم، وعملت في جميع أنحاء العالم، وحظيت بدعم شركاء عظماء من جميع أنحاء العالم. أنا لست مجرد رجل غاضب يجلس بعيداً. أعتقد أن لدي شعوراً جيداً جداً لناحية مسار أوروبا وآسيا والولايات المتحدة، [نتيجة ما] يقرب من 40 عاماً من الخبرة".

* * * * •

بدأ بانون رحلته لجمع ثروته كرجل شاب، بعد أن قضى سبع سنوات في البحرية الأمريكية.

التحق بمدرسة هارفارد للأعمال، حيث التقى بمستشارين من شركة الخدمات المصرفية الاستثمارية في جولدمان ساكس. وتولى وظيفة صيفية في مكتب الشركة في مدينة نيويورك، ثم حظي بدوام كامل بعد التخرج. وفي عام 1985، أصبح يعمل في عمليات الاندماج والاستحواذ.

"لم يكن بانون عادياً، على اعتبار أنه كان أكبر قليلاً، وجاء من خلفية عسكرية، وهذه الحقيقة كانت جوهر شخصيته.. كان يتمتع بعقلية مستقلة، ولديه وجهات نظر قوية"، بحسب وصف جون ل. ثورنتون، الرئيس السابق لجولدمان ساكس الذي أدار دفة المصرف بالاتجاه الدولي، والذي اعتبره بانون مرشداً له.

كانت المهمة الرئيسية لبانون، خلال السنوات الثلاث الأولى له في جولدمان ساكس، الاستجابة للازدهار في ظل عمليات الاستيلاء العدائية. استولت جولدمان ساكس على الشركات التي تعرضت للهجوم من قبل مهاجمي الشركات وشركات الاستحواذ على رأس المال. كان على بانون التوصل إلى استراتيجيات لحماية الشركات من الخاطبين غير المرغوب فيهم.

"الاستيلاء هو مرحلة عصيبة جداً، أشبه بالذهاب إلى المعركة في الميدان"، على حد قول سكوت فورس، الذي كان زميلاً لبانون في هارفارد، وعمل معه في جولدمان ساكس وبانون وشركاه. "كان عملاً جنونياً. عملت على مدى عدّة أسابيع لما يزيد عن 100 ساعة، وأنا أعلم أن ستيف فعل ذلك في كثير من الأحيان. في الساعة 10 مساء، يكون هناك 150 شخصاً يتجولون في المبنى، ويحمل كل واحد منهم قطعة من البيتزا وكوباً من القهوة".

بعد ثلاث سنوات وترقية إلى منصب نائب الرئيس - وهو اللقب الذي منح للعديد من موظفي جولدمان ساكس - انتقل بانون إلى مكتب الشركة في لوس انجلوس، وكُلّف بالأعمال التجارية. بادر إلى الاتصال بالشركات التي تبحث عن ممثلين لها في عمليات الانقسام أو الاستحواذ على شركات جديدة.

جاءت نقطة التحوّل في عام 1989؛ قال بانون إنه أقنع جولدمان ساكس بتركيز الاستثمار في شركة ناشئة تدعى كوالكوم، كانت تعمل في تكنولوجيا الهاتف الخلوي. وقال بانون إنه لم يحصل على تعويض إضافي من الصفقة، وإنه حقق ربحاً كبيراً لغولدمان ساكس. وفي حين إنه حقّق حوالى 450،000 دولار سنوياً في ذلك الوقت على حسب قوله، فإن ذلك كان أشبه بالفارق بين الليل والنهار، مقارنة مع ما كان قد سيحصل عليه من شركة تدفع له رسوماً ضخمة مقابل الصفقة. كانت فلسفة جولدمان ساكس تقتضي الدفع بسخاء، ولكنها لم تكن توفر تعويضاً أعلى إلى أن يتم اعتماد المديرين التنفيذيين كشركاء، وهو الأمر الذي قد يستغرق سنوات.

يقول بانون: "كان تحقيق ذلك يتطلب جهداً كبيراً. فكرت في ذلك: سأحصل على كل المرارة إذا فشلت الصفقة، ولن أحصل على أي مردود إيجابي إذا نجحت.. وكان ذلك الاستثمار يساوي مئات الملايين من الدولارات".

وهكذا، أنشأ بانون شركته الخاصة في عام 1990.

هو يقول إن خطوته هذه لا تتعلق بالمال. ويضيف: "كان الأمر دائماً متعلقاً بفعل شيء ما، وأن أثبت لنفسي أنني قادر على فعل ذلك الشيء. إنشاء بانون وشركاه كان مجازفة كبيرة. واعتقد الناس أنني مجنون".

بقي بانون في كاليفورنيا، لأنه كان يركز، كما قال، على تقييم الملكية الفكرية، مثل صناعة السينما - بدلاً من الأصول الصلبة في قطاع النفط والغاز – وكان يعتقد أن

ثمة أرباحاً كبيرة يمكن تحقيقها لأنّ "وسائل الإعلام وصناعة الترفيه كانت على وشك أن تصبح معولمة".

أراد بانون إنجاز صفقات كبيرة، لكنه لم يكن يملك التمويل. لذلك، بدأ استكشاف الخيارات في الخارج، بما في ذلك اليابان، حيث كان المستثمرون حريصين على الانخراط في مشاريع هوليوود.

وأبرم اتفاقاً لمدة خمسة أعوام مع بنك ياباني كبير، هو نيشو إيواى، الذي، بحسب قوله، قدّم ملايين الدولارات.

أصبح الاعتماد على الأموال الأجنبية نموذجياً لعمل بانون، الذي قال: "كان موطن قوتنا في العمل مع الشركات الأمريكية لكي تعمل مع مستثمرين أجانب".

أنشأ بانون متجراً في بيفرلي هيلز، بالشراكة مع زميله السابق في الدراسة وفي شركة غولدمان ساكس، سكوت فورس. ولكنه أمضى معظم وقته في الخارج، في أماكن مثل هونغ كونغ وسنغافورة.

أحد النجاحات المبكرة للشركة تضمن بيع ملكية تلفزيون، أسفرت عن حصول بانون وشركاه على مكافأة ضخمة من البث المستقبلي لبرنامج الكوميديا "سينفيلد"، الذي لم يكن معروفاً على نطاق واسع وقتها.

وبحلول عام 1996، ومع سريان الصفقة اليابانية، دخلت شركة بانون وشركاه في شراكة مع شركة سوسيتيه جنرال، وهي شركة استثمارية فرنسية عملاقة. سُمّي المشروع المشترك، الذي سمح لبانون بالاحتفاظ بالسيطرة على شركته، سوسيتيه جنرال بانون.

وفي الوقت نفسه، تعززت التطلعات العالمية لبانون من خلال صفقة تعرّف فيها على الأمير الوليد بن طلال، الذي يحتل اليوم الموقع 45 ضمن أغنى الأشخاص في العالم، بثروة صافية تبلغ 18 مليار دولار، وفقاً لمجلة فوربس. ورفض الأمير التعليق [بهدف إعداد هذا التقرير].

وكان الأمير، وهو ابن شقيق الملك السعودي، يترأس البنك التجاري السعودي المتحد، وكانت له استثمارات كبيرة في شركات منها يورو ديزني وسيتي بنك وساكس فيفث أفينيو. جمع الكثير من ثروته من خلال تداول عشرات الملايين من الدولارات في أسواق الأسهم الأمريكية. كما قام بشراء اثنين من العقارات التي قال إنها كانت بمثابة "كفالة" لترامب: شراء يخت ترامب، عام 1991، ودفع ما قميته 325 مليون دولار - في عام 1995 مع مستثمر من سنغافورة - مقابل فندق بلازا.

* * * * *

يقول بانون إنه - ابتداء من عام 1992 - التقى بالأمير ما لا يقل عن عشر مرات، من بينها لقاء في بيفرلي هيلز وآخر في مدينة نيويورك، وربما في مهرجان كان السينمائي.

وكان الأمير شارك نجم البوب مايكل جاكسون في تأسيس شركة أسمياها مملكة الترفيه. وفي عام 1996، نصح بانون الأمير بأن تقوم الشركة بشراء 50% من شركة "لاندمارك إنتيرتينمنت"، المختصة بإنتاج برامج الموسيقى والبرامج التلفزيونية وتطوير المنتزهات، ومقرها هوليوود. وبقي بانون على اتصال مع الأمير، حيث التقى به في فندق فور سيزونز في بيفرلي هيلز، حيث كان الأمير يمتلك حصة فيه، بحسب قول فورس. وبالإضافة إلى ذلك، كان فورس يسافر إلى الرياض للقاء الأمير السعودي.

يقول بانون: "كان الوليد شديد الدهاء". ويضيف: "كان موكلاً لمدة خمس أو ست سنوات . . . كانت لديه طموحات كبيرة. كان يريد أن يصبح والت ديزني الشرق الأوسط".

في عام 1998، أصبح الأمير جزءاً هاماً من واحدة من أكبر صفقات بانون، عندما سمع فورس شائعات بأن ثمة من يسعى لشراء بوليغرام في صفقة كان متوقعاً أن تبلغ قيمتها 10 مليار أمريكي.

قال فورس: "ذهبنا إلى نيويورك. كنا نسير في أجنحة بوليغرام التنفيذية، ونقول: "نحن هنا للمساعدة. هل يمكننا المكوث في قاعة المؤتمرات إلى حين تحتاجوننا؟ كنا أشبه بملاك الأراضي ذوي الياقات البيضاء. وهكذا، انتقلنا الى قاعة المؤتمرات".

كان يصطف بضعة أصحاب عروض محتملين، بما في ذلك المجموعة الكندية سيغرام. عندها اقترح بانون الأمير كصاحب عرض.

وعندما سأل أحد المسؤولين التنفيذيين في شركة بوليغرام عن علاقة بانون بالأمير، أجابه بانون: "اتصل بالرجل الأساسي لدى الأمير"، للتحقق من ذلك، كما قال فورس. وبعد فترة وجيزة، أشار رئيس بوليغرام إلى بانون وفورس برفع "الإبهام الكبير".

في النهاية، لم يشتر الأمير بوليغرام، ولكنّ عمله أدى إلى الاحتفاظ به لدى الشركة، وقال بانون إن احتمال تقديم عطاء بديل ساعد على رفع السعر بنسبة 20 في المئة، وأنه تلقى "رسوماً كبيرة"؛ إلا أنه رفض الكشف عن المبلغ.

ونتيجة لهذه الصفقة وغيرها من الصفقات، صُنّفت شركة بانون كرابع أكبر بنك استثماري لوسائل الإعلام في العالم، وتفوقت بذلك على الشركات التي تضم آلاف الموظفين، وفقاً لما ذكره فورس.
وعلى الفور، وافق بانون على بيع شركته بمبلغ غير معلوم إلى شركة تابعة لشريكه الفرنسي، سوسيتيه جنرال، وهي الخطوة التي وضعت، في نهاية المطاف، نهاية لدوره في الشركة التي أنشأها.
في حين أنه من غير الممكن التحقق بشكل مستقل من أرباح بانون خلال تلك الفترة، إلا أنه قال إن الصفقات وبيع الشركة جعلته غنياً جداً. وقال أيضاً إنه تجاوز بكثير ما كان من المرجح أن يكون قد كسبه لو أنه بقي في جولدمان ساكس. خلال السنوات الـ14 في مجال الخدمات المصرفية الاستثمارية، كان أصدقاء بانون يصفونه دائماً بالجمهوري الريفي، والأنيق، والرياضي ونجم السينما الوسيم. وقال عدد من زملائه السابقين إنهم لا يعرفون بانون الحالي، سواء في كلامه أو مظهره الأشعث.
يقول بانون إنه تغير كلياً إثر هجمات 11 أيلول / سبتمبر الإرهابية وبسبب الأزمة المالية عام 2008.
دفعت الأزمة بانون إلى القول بأن وول ستريت لم تعد تعمل بالطريقة التي درسها، أي العمل في بناء الشركات والحرص على مصلحة العميل. وقال إن الأزمة المالية تسبب بها أولئك الذين كان دافعهم الحصول على أكبر قدر ممكن من المال لصالحهم الشخصي، أي "تسييل أموال" وول ستريت بحيث يجني أصحاب المصارف أرباحاً على حساب المستثمرين اليوميين. وقال بانون في فيلم وثائقي فرنسي حول جولدمان ساكس: "كان الأمر كذلك حتى قبل مجيء كل هؤلاء العلماء، وعلماء الرياضيات إلى وول ستريت".
وقال أيضاً إنه يشعر بانزعاج أكبر من سياسة إنقاذ البنوك الكبرى على حساب دافعي الضرائب، التى تم تصميمها من قبل الرئيس التنفيذى السابق لجولدمان ساكس، هنرى م. بولسون الابن، الذى كان يشغل منصب وزير الخزانة في عهد الرئيس جورج ووكر بوش.
وأضاف أنه ازداد انحيازاً إلى اليمين بسبب أن والده، الذي كان يعمل في AT&T، فقد ماله جراء بيع أسهم الشركة في أعقاب الأزمة المالية.
بدأ بانون باستخدام جزءاً من ثروته لإنتاج الأفلام التي تعكس نظرة أكثر قتامة. الأفلام التي أنتجها، مثل "الجيل صفر"، صوّرت الولايات المتحدة والانزلاق إلى تراجع ثقافي ومالي. وجّه بانون غضبه نحو دعم حركة حزب الشاي، ومن ثم لتصدير رسالة ضد العولمة، كرئيس لموقع بريتبارت نيوز.

يصف بانون "بريت بارت نيوز" بأنها "منصة لليمين المتطرف"، مشيراً بذلك إلى حركة صغيرة تسعى إلى دولة بيضاء نقية. إلا أنه قال إنه ليس قومياً أبيض بل "قومياً أمريكياً قوياً". وفي نهاية المطاف، تبنى ترامب، الذي كان قارئاً متعطشاً لـ"بريتبارت نيوز"، آراء بانون، التي كان يبثها في برنامج إذاعي.
وظف ترامب بانون في آب / أغسطس 2016 كمدير تنفيذي لحملته الانتخابية، وهكذا، ساعد المصرفي الاستثماري السابق في توجيه دفة الملياردير نحو الرئاسة بتحميله رسالة شعبوية.
وبينما كان بانون يرسم جدول أعمال ترامب، كان عميله السابق الأمير الوليد بن طلال مذعوراً من اقتراح ترامب "منع المسلمين بشكل تام وكامل من دخول الولايات المتحدة". كتب الأمير على تويتر - الذي يملك فيه حصة بمليار دولار - إن اقتراح ترامب "عار". ورد عليه ترامب بوصفه بـ "الأمير البليد".
قال بانون إنه لم يتحدث مع الأمير منذ سنوات، مضيفاً أن وجهات نظره حول الإسلام يساء فهمها: "ليس لدي أي مشكلة مع الاسلام.. لدي مشكلة مع الإسلام الراديكالي".
غيّر انتصار ترامب وجهة نظر الأمير، فاستخدم تويتر مرة أخرى، لكن لتهنئة الرئيس الجديد. وكان ذلك مجرد بداية للجهود التي بذلها السعوديون للتودد إلى الرئيس الجديد، وتمت مكافأتهم باجتماع عقد في 14 آذار / مارس في المكتب البيضاوي التقى فيه ترامب مع ولي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، ابن الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز.
وكان بانون، الذي كان مبدؤه لعقود أن يكون حاضراً دائماً عند كل صفقة، إلى جانب ترامب خلال الاجتماع.